حصر الكتب المؤلفة أو المترجمة في الكيمياء

وردت علينا من الجمعية الكيماوية السورية بدمشق الرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

بالاشارة الى كتابكم رقم 97 تاريخ 8 فبراير 1973 المتعلق بانشاء مؤسسة للترجمة والتعريب لعلوم طب الاسنان ، وبعد عرضه على ادارة الجمعية ومناقشة ما ورد فيه ، وبعد دراسة الموضوع فيما يتعلق بميدان اختصاص جمعيتنا ، رأينا ان الكتب المترجمة الى اللغة العربية تحمل فى طياتها الاصطلاحات الكيمياوية والهندسية الكيميائية المستعملة فعلا ، كما رأينا ضرورة جمع هذه الكتب والتعرف عليها .

لذلك فاننا نقترح البدء باجراء حصر للكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء وتطبيقاتها ، كما نقترح ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها بغية عدم التكرار واذا لم يجد مكتبكم امكان قيامه بهذا الدور ، نرجو بيان رأيكم فى الاقتراح ، ودراسة امكان تكليف جمعيتنا او غيرها من الجمعيات بتنفيذ الاقتراح المطلوب ، ونرى فى حال موافقتكم ، ضرورة اعلام الجهات العلمية فى الاقطار العربية بهذه المهمة بغية اطلاع الافراد العلميين على وجود هذا التنسيق المركزى ، للقيام بالكتابة الينا ، للاعلام عن التأليف او الترجمة او الاستعلام ، وتقبلوا فائق الاحترام ،،،

ورد المكتب بالرسالة التالية :

تحية طيبة وبعد :

جوابا على خطابكم المؤرخ بـ 27 ـ 3 ـ 1973 ، والذى تقترحون فيه علينا ـ ان كان فى امكاننا ـ القيام بحصر الكتب المؤلفة او المترجمة فى حقل الكيمياء مع ايجاد سجل للاعمال المترجمة والمنوى ترجمتها ، وبما ان مكتبنا لا يستطيع ـ فى الظروف الراهنة ـ الاضطلاع بهذه المهمة ، فانا نقترح تأييد رأيكم القائل بتكليف لجنة خاصة فى جمعيتكم الموقرة لانجاز هذا المشروع المهم وتقديرا منا لكم على هذه البادرة الطيبة، ورغبة منا فى تعميم الفكرة فاننا سننشرها فى « اللسان العربى » ليطلع عليها العلماء والجمعيات العلمية فى جميع الاقطار العربية .

وتفضلوا بقبول اصدق عبارات التقدير والاحترام .

مثل هذا الجو العلمى استاذ يضع كتابا فى فن واحد تلاميذه يضع شرحا على كتاب استاذه فمن الطبيعى المعتاد حينئذ ان يتجه تلميذ آخر للمناقشة وللادلاء بدلوه فى نفس الموضوع خاصة اذا عيب على كتاب الفارسى بانه طويل معتمد على القياس وجاء كتاب ابن خالويه مختصرا معتمدا على السماع .

2 ــ عدم ورود اسم الكتاب فى الطبقات او قائمة كتب ابن خالويه ليس دليلا قاطعا على نفى النسبة لان الطبقات والفهارس ليست هى المرجع الوحيد فى هذا الموضوع لان هذه الفهارس سقطت منها كتب كثيرة لمؤلفين كثيرين منهم ابن خالويه نفسه وغيره لان هذه الفهارس لا يمكن ان تحصى جميع ما كتب الكاتبون ولان ما يحصونه ليس معصوما من يد الحادثات وما اكثر ما ضاع من كتب ومخطوطات قد لا يعلم بها احد.

3 ــ ان الكتابة على احدى النسخ العتيقة للحجة للفارسى لا ينهض دليلا على ان هذا الكتاب كان مسمى بهذا الاسم عند ما ظهر لاول مرة خاصة اذا راعينا قول المحقق ان مؤلفه الفارسى لم يقدمه لعضد الدولة تحت هذا الاسم فربما ظهرت التسمية بعد ظهور الكتاب بمدة.

4 ــ التنافس العلمى وعدم تاليف ابن خالويه فى بعض الفنون التى راجت فى عصره لا ينفى نسبة الحجة اليه لانه ربما كانت هذه الفنون التى لم يؤلف فيها اقل اهمية من حيث التنافس اما من القراءات فكان من الفنون المقدمة فى ذلك العصر والتى تقع حتما فى بؤرة التنافس .

5 ــ قول الاستاذ الفاسى ان اسلوب تلاميذ ابن مجاهد ومنهجهم كان واحدا قول لا يستقيم مع ما ذكره النقاد من ان كتاب الحجة للفارسى مطول يعتمد فيه على اخذ اللغة بالقياس بينما الحجة لابن خالويه مختصر يعتمد على السماع فى اللغة فكيف يكون اسلوب هؤلاء التلاميذ ومنهجهم واحدا ؟

6 ــ الاستدلال بالزمن من ناحية التحقيق ليس واهيا بل قد يكون قاطعا احيانا فكيف نعتمد نسبة كتاب الى مؤلف مع ان هذا المؤلف يذكر اسم مؤلف آخر لم يكن قد ولد بعد ان مراعاة الزمن فى التحقيق امر بالغ الخطورة بل قد تتوقف عليه صحة التحقيق وعدمها .

7 ــ ان المشابهة بين النصوص بين مؤلفين لا تصل الى حد استعمال جمل بحذافيرها بنفس الحروف كما يحدث مع مؤلف واحد لكتابين .

8 ــ كون النسخ عارية عن اسم الناسخ لا ينفى ثبوت النسبة اما كون الخط ليس من الخطوط المتداولة فى القرن الخامس فذلك محل اختلاف وجهات المحققين وعدم اتفاقهم والقطع بأن هذا الخط من خط القرن الخامس او ليس فيه مسألة لا يؤخذ فيها برأى واحد ولو كان هذا الكتاب مختصرا لكتاب الفارسى لوردت فيه اشارة ما الى ذلك لكن ذلك لم يحدث .

وقد احس الاستاذ الفاسى ان هذه الملاحظات لا تنفى نسبة الكتاب الى ابن خالويه فقال : « كما لا يمكن ان ننفيه عنه نفيا قاطعا ».

من هنا فان العقل يرى ان هذه النسبة صحيحة لشبه الكتاب بكتب ابن خالويه واشتراكه فيها فى جمل بعينها ولتصور الجو العلمى فى القرن الخامس ووضع ابن خالويه العلمى فى هذا العصر .

على ان الذى يقطع هذا الجدل كله حول نسبة الكتاب لابن خالويه ان مقدمة « تاج العروس » تنص صراحة على ان من المراجع التى اعتمد عليها الزبيدى فى كتابه كتاب الحجة لابن خالويه واذا لم يكن كتابنا هذا موضع الحديث فأين كتاب الحجة لابن خالويه ؟ الا يكون ذلك النص قاطعا اقطع من ورود اسم الكتاب فى الطبقات .

ولا يقلل بعد ذلك من اهمية الكتاب العلمية فى حد ذاته وانه سد حاجة المكتبة الاسلامية فى المادة التى الف فيها وقد سبق لآرثر جيفرى ان حقق مقدمتين فى علوم القرآن هما مقدمة ابن عطية ومقدمة ذكر انها لعالم مجهول فجهل المؤلف لا يقلل من قيمة ما الف .

جزى الله ابن خالويه ، والمحقق ، والناقد ، خير الجزاء ، واعان الله كل العاملين فى حقل الفكر الاسلامى على امرهم وسدد خطاهم .